الذؤنون

١ ـ توطئة

للمبحث الكرملي في بغداد بستان صغير واقع على عدوة دجلة اليمنى عند مفرغ ماء المسعودي سابقاً . والمسعودي نهر يصل دجلة بالفرات وقد طُمَّ اليوم ولا يكاد يبقى منه الا شيء زهيد . مع انه كان جارياً قبل نحو اربعين سنة ، وكانت تجري فيه السفن في عهد العباسيين .

وفي سنة ١٩٠١ كان لنا في هذا البستان اربعة فلاحين كل واحد منهم من ناحية من العراق ، وكان اسم كبيرهم عبد الحسين من انحاء النجف ، واحمد من جهات ديالي ، وجسّام من منافيش بغداد ، والاخير علي من أرض الزاب . وكثيراً ما كنت اذهب الى الضيعة لاسألهم عن اسامي النباتات المعروفة وعن اسمائها في لغاتهم او لُغَيَّاتهم على حسب البلاد التي نشأوا فيها لأدوّنها ولانتفع بها عند الحاجة .

واتفق اني ذهبت الى الضاحية في ٣ آذار فعثرت في مزرع الحنطة على نوع من الكمأة فأتيت بها وأحضرتها الفلاحين فسألت عبد الحسين عن اسم هذا النبت فقال : هذا الذؤنون . ثم التفتُّ الى جسام وقلت له : وأنت بمَ يعرف هذا عندكم ؟ — قال : أوتجهل ان اسمه الجما ؟ (الجيم الفارسية المثلثة عند اعراب البادية في العراق تدل على الكاف العربية الصريحة . فقوله الجما كقولك الكما اي الكمء) — ثم سألت احمد عن اسم النبت المذكور . فقال : هو الأذنون لا الذؤنون (اي انه قدم الهمزة على الذال المعجمة) وأردت ان أختم هذا البحث بكلمة الفلاح الرابع فقال : الذي عندنا ان الذؤنون هو ضرب الهليون البرّي .

وعلى هذا الوجه لم استطع ان أتحقق اسم النبت الذي ظفرت به ولا حقيقة الذؤنون ، الا اني صادفت نجدياً في البصرة سنة ١٩٠٤ فسألته عن الذؤنون فقال لي : هو كثير الوجود في سهول نجد وهو ضرب من الفطر ينبت عفواً وله برعومة مورّدة مدمّلكة فاذا بلغت اتساعها انفرشت وأصبحت كالمظلة . والناس يطلبونها ايام الربيع فيجدونها في اصول الرمث والارطى والألآء . ومنها ما يؤكل ومنها ما لا يؤكل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومنها ما يتخذ دواءً ومنها ما لا يصلح لشيءٍ البتة ، حتى ولا للسائمة على أنواعها . وللحال فهمت منه ما يشير اليه . وحمدت الله على انه يسر لي من هداني الى الحقيقة .

٢ . اوهام اصحاب المعاجم

أول من جهل حقيقة هذا النبت فريتاغ فانه قال في مادة ذأن : الذؤنون ويجمع على ذأانين (كذا) اسم نبت ينبت بين الرمث . وهذه عبارته باللاتينية (Nomen plantae inter plantas provenientis رمث) ، ثم جاء البستاني الذي اخذ ترتيب معجمه عن فريتاغ فنقل عنه اشياء جمة أغلبها خطأ إما من سوء فهم اللغوي الافرنجي واما من خطلٍ وقع فيه فريتاغ فتلقاه عنه البستاني ومن بعد ذلك انتشر فعمَّ كل من نقل عن البستاني كصاحب أقرب الموارد وأصحاب الجرائد والمجلات ، فقد قال البستاني في ذأن : الذؤنون : نبت من الرمث . وكذا قال صاحب أقرب الموارد . وهو غلط واضح فاضح اذ الرمث مرعى للابل من الحمض وشجر يشبه الغضا ينبت عند اصوله الذؤنون . وهيهات بين الرمث والذؤنون . اما قزميرسكي وصاحب الدواوين المستعملة في المدارس فانهما لم تذكر الذؤنون ، وأهملته بتاتاً اعتقاداً من أصحابها بان ذكره لا يفيد فتيلاً ، مع انه لا يستغنى عن ذكره لانه يكثر في كتبهم .

واما دائرتا المعارف للبستاني ولمحمد وجدي فلم تذكراه ، مع ان مثل هذه الكتب وُضعت لتحوي مثل هذه المباحث وهي في حاجة الى وصف هذا النبت وتحليته للوقوف على حقيقته ولادخاله في كتبنا العلمية فنستغني به عن اسمه الافرنجي الذي ينساب مع غيره الى مؤلفاتنا فيفسدها ويفسد لساننا ويعجم علينا كلام السلف من الناطقين بلغتنا .

٣ . اصل اللفظة

لا أظن ان الذؤنون من كلام العرب ، اذ لا مقابل له من لفظه في سائر اللغات السامية وأظن انه من المعرب من اليونانية وهو في هذه اللغة « أُذنون » بهمز الأول والذال المعجمة على مانطق به احمد فلاحنا اي (udnon) والمراد به النبت المذكور .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٤ ـ تحليته على ما نطق به العرب في كتبهم

من الغريب ان ابن البيطار لم يذكر الذآنين في مفرداته مع انه ذكر أدوية وعقاقير وأنبتة دونها شأناً وخطورة . وهل نسي ذلك ، ام جهل الاسم المذكور ، ام لم يكن لهذه النبتة فائدة ، ام ان ابناء وطنه كانوا يشمئزون من اتخاذ دواء تمهم ؟ كل ذلك مما لا نستطيع ان نجيب عليه ، ولنترك الجواب للقارئ ليتصور ما يشاء .

وصاحب التاج لم يذكر من وصف هذا النبت الا بعض ما أخذه عن صاحب اللسان . وابن مكرّم هو أحسن من وصفه لنا وحلاّه اوفى تحلية . قال في مادة ذأن ونحن نقطع عباراته لنبين آراء العرب سابقاً كما هي الآن ونجعل لكل عبارة رقماً يظهر ان الوصف الواحد غير الوصف الثاني ويدل على نبت دون نبت . فقد قال :

١ً — الذؤنون والعرجون والطرثوث من جنس ، وهو مما ينبت في الشتاء فاذا سخن النهار فسد وذهب .

٢ً — الذونون نبت ينبت في اصول الارطى والرمث والألاء تنشق عنه الارض فيخرج مثل سواعد الرجال لا ورق له وهو أسحم وأغبر وطرفه محدد كهيئة النكرة وله اكمام كاكمام الباقلى وثمرة صفراء في أعلاه .

٣ً — نبات ينبت امثال العراجين من نبات الفطر .

٤ — الذآنين هنوات من الفقوع تخرج من تحت الارض كأنها العَمَد الضخام ولا يأكلها شيء ، الا انها تعلفها الإبل في السنة وتأكلها المعزى وتسمن عليها ولها أرومة وهي تتخذ للادوية ولا يأكلها الاّ الجائع لمرارتها (قاله ابو حنيفة) وقال مرة .

٥ً — الذآنين تنبت في اصول الشجر أشبه شيء بالهليون ، الا انه أعظم منه وأضخم ، ليس له ورق وله برعومة تنور ثم تنقلب الى الصفرة . والذؤنون ماء كله وهو ابيض الا ما ظهر منه من تلك البرعومة ولا يأكله شيء الا اذا أسنت الناس فلم يكن بها شيء أغنى ، واحدته ذؤنونة .

٦ً — قال ابن شميل : الذؤنون اسمر اللون مدملك له ورق لازق به وهو

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

طويل مثل الطرثوث تَمِهٌ لا طعم له ليس بحلوٍ ولا مرّ لا يأكله الا الغنم ينبت في سهول الارض . (هذا كله عن اللسان) .

٧ً — قال في شرح نقائض جرير والفرزدق (ص ١٦٢ من طبع الافرنج) : الذآنين واحدها ذؤنون وهي تنبت في اصول الارطى . سألت ابا جعفر عن الذآنين فقال : نبت كأنه البصل ثم يجف فيخرج منه شبيه بالخنافس وقدرأيته وأطعمته جملي .

٨ً — وقال الشارح المذكور في (ص ٧١٠) : الذآنين : نبتة طويلة ضعيفة لها رأس مدور اه .

هذا اهم ما جاء في كتب العرب واما القزويني فلم يتعرض لها في كتابه عجائب المخلوقات مع انه ذكر انبتة دونها قدراً ونفعاً . وكذلك اهملها القلقشندي في صبح الاعشى . ولم يلتفت اليها مؤلفوا كتب الطب . ولا داود البصير في تذكرته ولا في منهاج الدكان ولا ... ولا ... ولا ...

٥ً . وصفُه عند العلمآء العصر بين على اختلاف معانيه

اتضح لك مما تقدم بسطه ان الذؤنون ورد في عدة معانٍ . ففي المعنى المهمّ والمشهور هو الذي اشار اليه فلاّحنا عبدالحسين وكان قد سافر في نجد وعرف النبات هناك اذ يكثر في تلك الديار وهو الذي ذكرناه في الرقم (١ ، ٢ ، ٦ ، ٧) نقلاً عن لغويي العرب ودونك وصفه على ما نطق به العلماء :

جنس من الانبتة من فصيلة الجعفيل ينطوي على نحو عشرة انواع ترى خاصةً في دياراوربة وآسية وكلها تجيء على اصول الاشجار اوعروق النباتات المختلفة لتغتذي بها .

والذآنين تنشأ كل سنة ، وقد تكون طويلة العمر ، سوقها سبطة وقد تكون ذات افنان ، وهي خوّارة ريّا (مؤنثة ريان) عليها فلوس او قشور بيضاء او ملونة هي لها بمنزلة الاوراق لغيرها ، وازهارها تبدو كأنها عناقيد وتكون في اعالي السوق او اطرافها ، ومع كل عنقود ثلاث برّاقات [1] ولها اكمام كأنها اجراس تذهب في

(١) البرّاقة هي وريقة تكون تحت الزهرة تزيد في حسنها . وهي اللفظة المعروفة عند بعض العراقيين من المُشق (المصلحين لغروس الرياحين) وقدنقلها بعض

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الطول ذهاب الانابيب ، ولكل كم اربعة او خمسة فصوص وللزهرة قُمَالة ثنائية الشفة ، واربعة عُسُب مثناة القُوَى ، ولها مبيض مطلق ، يعلوه مهبل سبط ينتهي بفرج مغلوق . وللذآنين نكمة او نكأة ، ونكمتها خشلة بيضية الشكل ، تنفتح من اعلاها فقط على مصراعين . وهذه الانبتة تشبه الجعفيل وهي تجاوره كل المجاورة ، وتنمو على اصول الاشجار وعروق النباتات ، ولا بد من ان تضرها ضرراً بيناً .

ومن الذآنين الذونون النجدي وهو ينمو على اصول الرمث والارطى والألآء والذونون الارجواني ويرى نابتاً على اصول اشجار شواطئ بحر قزوين . والذونون ذو الفروع و ينبت في اصول القتاد وعروق حشيشة الملائكة الى غير هذه الذآنين التي تختلف اختلافاً زهيداً بموجب الربوع التي تنشأ فيها .

والذؤنون بهذا المعنى يعرف بلسان العلم باسم (Phelipœa lutea) ولم اجد من ذكره في المعاجم اللغوية من اعجمية وعربية او بالعكس .

واذا أُريد بالذؤنون نوعاً من الكمأة تعرف بالفقع فهو جنس من الجبأة هو رأس الفقعيات او الفصيلة الفقعية المكومات البَوْغ (Gastéromy cètes) ولها في نشوئها ضرب من اللُحْمَة الليفية (Parenchyine) ولون هذا الجنس من الفقع ابيض فاقع متخاخل صلب المجس قد يُجزئ في السنة وهو يخرج كالعَمَد الضخام القصار وله برعومة محدَّدة و يغبرّ لون الطرف السائب و يرخو اذا ما بلغ أشده وحينئذ تنتشر منه رائحة قوية غير طيبة و يبقى بشكل كاس او قعب ، و يتطاير بوغه قبل هذا العهد ذرّات سحآء . وهو يدخل في الادوية الى يومنا هذا بل وعند الافرنج انفسهم وربما دخل في بعض المصنوعات .

والفقعيات تجيء في جميع الربوع وهو يعرف عندالفرنسيين باسم Phellorine وهوالذي ذكره جسام خطأ باسم الكمء وذكره اللغويون في الرقم (٤) بانه هنوات من الفقوع .

وان أُريد بالذؤنون او الاذنون الهليون البري وهو الذي ذكره اللغويون في الرقم (٥) فهذا وصفه العلمي .

العصر بين باسم ذُنَيْب وزُنَيْد ورُجَيْلة وسُوَيْعد (كلها مصغرات) وكلها من الخطإ الفاضح . و بالافرنجية (Bractée) وقد تكون البراقة في اسفل العنقود كما هو الامر هنا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جنس من الفصيلة الفاشرية يشمل حشائش متعرّشة لدنة السوق على مثال سوق الكرم ضخمة الجذور كثيرة العجر عريضة الورق قلبية الشكل لماعة خضراء حسنة اللون زاهيته . ازهارها صغيرة جرسية الهيئة والثمر حبوب كالعنب ذات ثلاثة مساكن في كل مسكن ثلاث بزرات . وهذا النبات يجيء في الديار المعتدلة الهواء من اوربة وآسية ولعجرها مذاق حادّ وفيها مادة كأنها دقيق النشإ توكل وتعتبر مدرة للبول ومحلّلة ، وحبها يشبه الكرز الصغير الاحمر و يكون سكري المذاق .

والعرب عرفوا هذا الذؤنون باسم فاشرشين والصواب فاشرسيه او فاشرسياه اي الكرمة السوداء وعرف بهذا الاسم ايضاً و باسماء أُخرى صحفها النساخ اقبح تصحيف لا محل لايرادها هنا . واما الفرنج فالفرنسيون عرفوها باسماء عديدة منها Taminier و Tame او Tamier والعوام منهم سموها : Sceau de Notre-Dame او de le Vierge و Racine Vierge و Couleuvrée noire والانكليز Black bryony والعلماء : Tamus .

٦ . كيف انتقلت اللفظة الواحدة الى عدة أعيان

قد مر بك ان الذؤنون لفظة يونانية الاصل معناها ضرب من الكمأة . وهكذا انتقلت اللفظة في اول وضعها الى مؤداها الحقيقي . على ان السلف ما عتموا ان رأوا في الذؤنون ما رأوا في لفظ الكمأة نفسها او ما جاء يرادفها اي انهم اطلقوها على كل ما يطلق عليه اسم الكمأة او الفطر او الجباة فتولد منها مدلولات عديدة حافظت عليها كل قبيلة على حسب ما تلقتها من الاوائل وهكذا نشأت . ولو وقفت على معاني مرادفات الكمأة لحكمت عليها كما حكمت هنا . فلا غرابة بعد ذلك اذا رأيت كل هذه المدلولات المختلفة من اعيان النبات .

٧ . قصور المعاجم في الاوضاع العلمية

رأيت للذؤنون معاني شتى . ولو بحثت في الدواوين اللغوية المختلفة لتقف على ما يقابلها عند الاعاجم لما ظفرت بنائلك . فهذا « مدّ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

القاموس [1] » على سعته لا بضع لفظة واحدة انكليزية مقابلة لمعنى من معاني الحرف العربي ، الا انه شرح اللفظة على ما فصله اللغويون العرب ولم يبد رأيه .

والسيد احمد عاصم نقل القاموس الى التركية وسماه الاوقيانوس البسيط في ترجمة القاموس المحيط والقابوس الوسيط وقد اتم انجامه في سنة ١٢٢٥ هـ وكثيراً ما شرح مواداً كانت مغلقة على من سبقه من اللغويين ولهذا ترى فيه احياناً مالا نقع عليه الا بعد الجهد الجهيد في كتب القوم . واذا فتحت مادة (ذأن) لا ترى فيها ما ينقع غلتك .

ولم يزدنا علماً ناقل القاموس [2] الى الفارسية وسماه « منتهى الارب ، في لغات العرب » الذي طبعه في كلكتة من بلاد الهند سنة ١٢٥٧ هـ .

---

(١) مدّ القاموس من احسن الكتب التي صنفت في اللغة ، فان صاحبه (ادورد وليم لين) انشأه على احسن طرز اذ جمع كل ما اورده لغويو العرب من معاني الكلمة الواحدة عازياً كل قول الى صاحبه . وقد قسم المؤلف كتابه قسمين : اودع القسم الاول منها المصطلحات الفصيحة بمعانيها المشهورة عند الراسخي القدم في البلاغة والفصاحة . واودع القسم الثاني (وهو لم يطبع) الحروف النادرة بمعانيها غير المألوفة او القليلة الاستعمال .

والمؤلف توفي سنة ١٨٧٦ ولم يكمل ما شرع به فجاء ابن اخيه استانلي لين بول ولم يحسن اتمام العمل فأفسد ما كان قد ابرزه عمه . على ان ما نشره المؤلف الحقيقي جدير بالاتباع ، وعلى اللغويين من العرب العصريين ان يتبعوا سبيله اذا ما ارادوا وضع سفرٍ مفيد جامع لشتات اللغة .

والذي يؤخذ على ادورد وليم لين انه لم يسع الى وجود الكلمة الانكليزية المقابلة للحرف العربي ، انما كان اقصى جهده ان يبرز اقوال العرب واشعارهم وآدابهم واخلاقهم وعوائدهم بنقلٍ صحيح الى لغة الانكليز وكفاه فخراً ، اذ لم يسبقه سابق .

(٢) هو عبد الرحيم بن عبد الكريم صفي بوري . وقد طبع كتابه مرتين مرة في الهند ومرة في بلاد ايران . والظاهر ان المترجم لم يكن يحسن الالفاظ الفارسية ولا سيما العلمية منها والاصلاحات فانه لم يكد يهتدي اليها البتة ، مع انه كان في موطن تغزر فيه المظان اللغوية والعلمية . والبائن ان الرجل اراد ان يسرع في انجام القاموس ولم يتسع له الوقت للبحث عن فرائد الالفاظ في بحارها الخاصة بها . والله اعلم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكذلك قل عن الشيخ عبد الباسط في حاشيته على البابوس والشيخ احمد بن مركز في سفره البابوس ، فهؤلاء وغيرهم جاؤوا متطفلين غير محققين ولهذا لم نجد في مصنفاتهم غناء .

ولا نشذ من ذلك النقلة الافرنج فانهم كلهم عالة على غوليوس وفريتاغ ومنسكي واضرابهم ، وهؤلاء أفسدوا معاني ألفاظ العرب ، وتبعهم من أخذ عنهم من العصر بين فزادوا الطين بلة والطنبور نغمة .

ولهذا وجب ان يتضافر العرب على وضع معجم ضافي الذيل وافي المطلوب . واما المعاجم الاعجمية العربية فهي دون الاولى اتقاناً وغناء : وليس هذا بقليل . فمعجم نجاري بك الذي وضعه في الفرنسية الى العربية على ضخمه لا يكاد يفيدك فائدة تذكر عند بحثك فيه عن الالفاظ الاصطلاحية . ومثل هذا القول قل عن معجم غسلين .

ومعجم « قاموس سعادة » للدكتور خليل سعادة ماهو الا نسخة مغلوطة لمعجم بادجر الانكليزي العربي . وفائدة هذا انه يضبط لك الالفاظ ضبطاً متقناً يهديك الى ضالتك واما نسخته المخطوءة فانها تزيدك رسوخاً في الوهم ، لان صاحبها ادعى ان كتابه : « لم ينسج على منواله حتى الآن ، ولا يستغني عنه طالب علم او كاتب او مترجم او أديب او محام او طبيب او غيرهم ممن له صلة بالانكليزية ويود ان يرد مناهل العلم الذي وعته كتبها ومجلاتها وجرائدها [1] » مع انك اذا فتحته لتطلب المادة التي تنقر عنها ، لا تجد لها ذكراً ، لان بادجر لم يذكرها .

ولا أتعرض لسائر دواوين اللغة فانها في حاجة عظيمة الى اصلاح وتهذيب ،

---

(١) هذا كلام المؤلف بحرفه في المجلد الاول في الصفحة ٢٤ في السطر ٤ وما بعده . اننا لا نريد ان نقول كل ما أورده الدكتور سعادة يرى في معجم بادجر ، بل نقول ان ما ورد في بادجر جاء بصورته في قاموس سعادة ، حتى ان الالفاظ العلمية الواردة خطأ في بادجر وردت بخطإها في سعادة ، وهذا لا يغتفر له ، بعد ان قدح بالدواوين التي سبقته ، وبعد ان أظهر للقوم ان ليس من سابق قد سبقه الى وضع كتاب مثل سفره .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولا سيما ما كان منها للمدارس ، فتكاد لا تفيد الطلبة فائدةً ، لانهـا لا تسعى لوضع الالفاظ العربية المقابلة للاعجمية ، بل تشرحها شرحاً ولا تزيد الباحث غناءً .

هذه كلمتنا نزفها الى من يُعنى بتأليف الكتب اللغوية حتى اذا ما شرعوا بوضعها يكونون على بصيرة مما يفعلون ، وهو الموفق لسواء السبيل .

محقق